

اجتهادات حرب عالمية أولى ..؟

فى الفترات التى يضعفُ فيها اليقينُ أو ينعدم، يصبحُ طرحُ أسئلةٍ تساعدُ فى فتح آفاقٍ جديدةٍ للتفكير أهم من تقديم إجاباتٍ مُعلبة، أو مُستسَخنةٍ من مراحل سابقة، أو معبرةٍ عن أهواء أو أمنيات. ومن هذه الأسئلة طبيعة الحرب الراهنة، وإلى أى مدى يمكنُ أن نعتبرها حرباً إقليمية على أساس أن مسرح عملياتها محصور فى منطقةٍ محدودة، وهل يمكنُ أن تكون حرباً عالمية من نوع مختلف عن حربى 1914، و1939؟. تكمن فلسفة هذا السؤال فى أن العالم اليوم ليس هو الذى كان حين وقعت هاتان الحربان، وأن التغير الذى حدث فيه خلال ثمانية عقودٍ يفوقُ فى حجمه ونوعه مجمل التحولات فى ثمانية قرونٍ سبقتها0 فعندما اندلعت الحربان، لم تكن هناك أسلحةٌ دمارٍ شاملٍ يمكنُ أن تُعيدَ العالم قرونًا إلى الوراء. عُرف السلاح النووى فى مرحلةٍ متأخرةٍ من الحرب الثانية، واستخدم حين كانت فى طريقها إلى نهايتها. الأسلحة النووية يمكنُ أن تكتب نهاياتٍ ولكنها لا تصنع بدايات. استخدامُها الآن يُنهى الحرب فى بدايتها، فمن يبدأ بإطلاقها يدمرُ بلده ومنطقته، مثلما يحملُ الدمار إلى بلدانٍ يستهدفها. فلا منتصر ومهزوم فى حرب نووية. وليست أسلحة الدمار هى الفرقُ الوحيدُ بين عالم اليوم، وعالم النصف الأول من القرن العشرين. زمننا الرقمى جعل العالم الآن مختلفًا تمامًا عما كان. وفضلاً عن الصراع السيبرانى، الذى لم يكن موجودًا قبله، أصبحت هناك أدوات جديدة تمامًا للحرب الاقتصادية. لم يكن نظامُ سويفت للتحويلات المالية بين المصارف موجودًا فى الحربين العالميتين. ولم تكن هناك مؤسسات وترتيبات مالية دولية تلعبُ دورًا بالغ التأثير فى الاقتصاد العالمى، ولا منظمة تجارةٍ يمكنُ فرضُ عقوباتٍ عن طريقها. كما لم يكن الإعلامُ قد صار أحد أفرع القوات المقاتلة، برغم محاولات الوزير النازى جوبلز لتطوير طرق استخدامه فى الحرب الثانية. ولهذا يتعينُ أن نتساءل كيف يمكنُ الحديث عن

حرب عالمية ثالثة بعد هذا التغير النوعى، وألا يجوز أن تكون الحرب الناشئة
الآن عالمية من نوع جديدٍ يجوز معه أن تكون الأولى فى الزمن الرقمى؟